الإعلاميّة في الدّرس البلاغي العربي
(دراسة في ضوء علم النصّ)

الباحث
محمد عبد الرضا محيسن
جامعة الكوفة - كلية الآداب

الأستاذ الدكتور
مشكور كاظم العوّادي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

الإعلاميّة في الدّارس البلاغي العربي
(دراسة في ضوء علم النصّ)

الباحث
محمد عبد الرضا محيسن
جامعة الكوفة - كلية الآداب

الأستاذ الدكتور
مشكور كاظم العوّادي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة:

علم النصّ فرع معرفي ظهر كاتجاه جديد في الدّرس اللساني الحديث في النصف الثاني من ستينات القرن العشرين(١)، يهدف إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل النصّ، فهو الوحدة الطبيعية للتفاعل اللغوي بين المتكلمين، والتي لا تضمّها وحدة أكبر منها، إذ إنّ التواصل بينهم لا يتم بجمل وعبارات منفصلة، بل عن طريق إنجازات كلاميّة أوسع متمثلة في الخطاب أو النصّ(٢).

وقد وضع (روبرت دي بوجراند) سبعة معايير للنصّية، إحداها: الإعلامية(٣)، وهي تتعلق بالمعلومات الواردة في النصّ من حيث توقع هذه المعلومات أو عدم توقعها، أو المعلوم مقابل المجهول(٤).ويرى دي بوجراند أنّها العامل المؤثر بالنسبة إلى عدم الجزم في الحكم على الوقائع النصّيّة ، أو الوقائع في عالم نصّي في مقابلة البدائل الممكنة، حيث تكون الإعلاميّة عالية الدرجة عند كثرة البدائل ، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج النصّ(٥).فهي تشير إلى المدى الذي تكون فيه (العناصر/المعلومات) داخل النصّ معتادة في معناها، وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها ، فتمثل عندها (كفاءة إعلاميّة) منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتادة فتمثل (كفاءة إعلاميّة) عالية

الدرجة[٦].

إنَّ المتكلم الذي ينتج نصّاً ينجز نشاطاً خاصّاً ، أي: ممارسة لغويّة أو نشاطا لغويّا يتبع قصداً أو هدفاً اجتماعيّاً ، فقد ينتج نصّاً ليبلغ السامع معلومات معينة ، أو ليحصل منه على بعض المعلومات، أو ليحفّز السّامع على عمل فعل، أو ليشجعه على انجاز نشاط، أو ليطلب منه إظهار ردّ فعل محدّد، أو ليترك شيئا..إلخ[٧].فيحقق بذلك من إنتاجه وظائف من قبيل:إبلاغ المعلومة، أو إصدار تعليمات ، أو إقناع ... إلخ[٨].

وللإعلاميّة مفهوم يدور حول صفة"الإعلاميّة"بمعناها العام، فأيّ نصّ يجب أن يقدّم خبراً ما، إذ إنَّ الرغبة في الإخبار تمثل غرضاً أوّليّا لدى أيّ كاتب، فأيّ نصّ لابدّ أن يقدم معلومة ما، والنصّوص كلّها تشترك في هذه الوظيفة[٩].

وهناك مفهوم آخر لمصطلح الإعلاميّة يشير إلى الجدّة في عرض المعلومات بمواقف معينة، وهذه الجدّة يحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع ، ويرسم حدودها الكاتب باختياراته في إثناء صياغة النصّ، ويظهر هذا التحديد للإعلاميّة مراتب تلكم النصّوص، إذ تُظهر رغبة بعض الكتاب في التميّز، كما يمنح هذه الصفة حكما قيميّاً[١٠].

ولا تقتصر صفة الجدّة على الصّياغة فقط ، ولكنّها تمتدّ لتشمل كذلك المضمون أو المحتوى[١١]،فيمكن لورود عنصر لغويّ معين أن تكون له احتمالات مختلفة في النّظم بسبب الأغراض المختلفة للاتّصال ، وعلى هذا فإنّ لدينا ثلاث مراتب (للكفاءة الإعلاميّة) هي الآتي[١٢]:

(أ) **المرتبة الأولى**: ويكون فيها المحتوى المحتمل في هيأة"تركيب"محتملة ، ومن شأن النصّ في هذه الحالة أن يكون سهل الصياغة دائما ؛ وبعدها يكون

قليل الإعلاميّة.

(ب) **المرتبة الثانية**: ويكون فيها المحتوى غير المحتمل في الهيأة غير المحتملة،ومثل هذه النصّوص تتسم بصعوبة الصياغة وتكون مثيرة للجدل الحادّ دائما.

(ج) **المرتبة الثالثة**: ويكون فيها المحتوى غير المحتمل في الهيأة المحتملة ، أو المحتوى المحتمل في الهيأة غير المحتملة ، ومثل هذه النصّوص من شأنها أن تتسم بالتحدي ، ولكنّها غير مثيرة للجدل دائما بلا سبب.

وتكشف النصّوص الشعريّة والأدبيّة بعامة في الغالب عن هذين الائتلافين الأخيرين.

وترتبط (الكفاءة الإعلاميّة) للنصّوص بمعرفتنا عن العالم ، فإذا كان النصّ يؤكّد العلاقات التي سبق العلم أنها محدّدة ، فإنّنا عندئذ أمام (كفاءة إعلاميّة منخفضة) ، وهكذا يرتفع مستوى (الكفاءة الإعلاميّة) كلّما نقص الطابع النموذجي ، فالنصّ يقدِّم ما يتفاعل داخلنا مع ما نختزنه من معلومات أو معرفة ثابتة ، وقد يؤثر فيها أو يتأثر بها. إنّ كون العنصر غير متوقع ينتج عنه"مفارقة" ، ولكنّها مفارقة قابلة للحلّ عن طريق معرفتنا عن العالم وعالم النصّ.

وإنَّ درجة التعقيد هذه - التي تنتج عنها المفارقة - نسبيّة إذ إنَّ مجازاً أو استعارةً ما قد نعتادها فتصبح بعد مدّة زمنيّة مألوفة ، أو لتتحوّل إلى استعارة ميتة. فهذه الاستعارات والتراكيب المعقدة بمرور الوقت ولكثرة استعمالها تكون قد استوعبتها عقولنا على نحو قوي، فأصبحت تمثل جزءاً من معرفتنا بالعالم. إنّ الاعتياد يحول العناصر من عناصر ذات (كفاءة إعلاميّة عالية) إلى عناصر (كفاءتها الإعلاميّة منخفضة). وتظلّ الحاجة الملحة للتغير المستمر في

الشكل والمضمون والعلاقات لإيجاد نصّوص لها (كفاءة إعلاميّة عالية) ، ولعلّ ذلك يفسّر الحاجة إلى الإبداع الأدبي ، لتجديد اللغة برفع (كفاءتها الإعلاميّة)[١٣].

الإعلاميّة في البلاغة العربيّة:

تتجلى الإعلاميّة في التراث البلاغي العربي في النصّوص التي تحتوي علاوة على معناها الأوّلي معاني ثانية أخرى ، بين نصّوص ظاهرة مباشرة ، وأخرى تتخفى فيها المعاني والصور من وراء حجاب ، عندها تكون النصّوص المباشرة ذات (كفاءة إعلاميّة منخفضة)، أمّا النصّوص الأخر غير المباشرة فتكون ذات (كفاءة إعلاميّة عالية) بحسب ما تخفيه وما تحويه من تلك المعاني والصور.

ومن هنا فرّقوا بين النصّ العادي والنصّ الذي يجوز أن يُدَّعى فيه الاختصاص والسبق والأولويّة،وجعلوا مدار التفريق بينهما فيما يحتاجه المتلقي من جهد في تلقي كلّ منهما،فهو في الأوّل أمام نصّ لا يعمل فيه فكره ، نصّ منكشف المعنى ، ظاهر الدّلالة ، أمّا الآخر فهو الذي يتحصّل ((بنظر وتدبر، وبناله بطلب واجتهاد ، ولم يكن كالأوّل في حضوره إياه، وكونه في حكم ما يقابله الذي لا معاناة عليه فيه ، ولا حاجة به إلى المحاولة والمزاولة والقياس والمباحثة والاستنباط والاستثارة ، بل كان من دونه حجاب يحتاج إلى خرقه بالنظر))[١٤].

وعلى هذا الأساس جرى التقسيم في التشبيه وأقسامه ، فهو على ضربين:((أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل.والآخر:أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأويل))[١٥]. وفرق بينهما أنّ الأوّل ما جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس ((فالشبه في هذا كلّه بيّن لا يجري فيه

التأويل ، ولا يُفتقر إليه في تحصيله. وأيُّ تأوُّل يجري في مشابهة الخدّ للورد في الحمرة ، وأنت تراها هاهنا كما تراها هناك؟وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل))[١٦]. أمّا الآخر فإنّ منه ((ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدقّ ويغمض حتّى يحتاج في استخراجه إلى فضل رويّة ولُطف فكرة))[١٧].

إنّ تقويم البلاغيين والنقاد العرب إلى النصّوص - إذا ما نظرنا إليه بمنظار علم النصّ - فإنّه يرجع إلى قياس درجة الإعلاميّة لهذه النصّوص ، فكلما كان النصّ مما يخفي معاني أخرى وراء معناه الظاهر كانت درجته الإعلاميّة عالية ، وكان من النوع الجيد الممدوح .

أمّا النصّ الآخر المنخفض الإعلاميّة ، فهو النصّ الذي ((كان لفظه سهلا ومعناه مكشوفا بيّنا فهو من جملة الرديء المردود))[١٨]، وهذا ما صنفه دي بوجراند ضمن المرتبة الأولى من النصّوص، وهي التي يكون فيها المحتوى مُحتملاً في هيأة محتمله[١٩]، وقال عنه إنّه قليل الإعلاميّة كما مرّ ذكره. وعلى هذا الأساس كان ميلهم إلى المعنى اللطيف الذي يحتاج معه فضل عناية وتأمل ، وينبغي فيه للمتلقي أن ينبعث في طلبه ليحصله ويجتهد في نيله ، بحيث يكون ذلك المعنى كما قال الشيخ الجرجاني(ت٤٧١هـ):((كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتّى تستأذن عليه. ثمّ ما كلّ فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه،ولا كلّ خاطر يؤذن له في الوصول إليه))[٢٠]، وهذا النصّ يدخل ضمن المرتبة الثانية والثالثة من تصنيف دي بوجراند ، وهو نصّ عالي الإعلاميّة.

وقد رفض الفكر البلاغي والنقدي العربي النصّ المنكشف ؛ لأنه يفتقر إلى التأثير، الذي هو غاية النهاية ، ومآله أن يعرض عنه المتلقون ؛ لأنَّه لا يثيرهم

أو يستفزهم ، فالوقوف على تمام المقصود لا يبقي للنفس شوقا إليه[٢١]، من هنا كان ميلهم نحو الغرابة في النصّ ، وعلّة ذلك ((أنّ الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلّما كان اغرب كان أبعد في الوهم ، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلّما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع))[٢٢]، والابتعاد في الوهم الذي جعله الجاحظ(ت٢٥٥هـ) في سلسلة علل الإبداع، نظير ما جاء عن دي بوجراند الذي جعل ارتفاع مستوى إعلاميّة عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين بالمقارنة بالعناصر الأخرى ، فكلّما بُعد احتمال الورود ارتفع مستوى (الكفاءة الإعلاميّة)[٢٣].

ومن العوامل الفاعلة في ارتفاع مستوى (الكفاءة الإعلاميّة) في النصّ اتساع المعنى، والاتّساع كما عرفه ابن رشيق(ت٤٥٦هـ) هو ((أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل، فيأتي كلّ واحد بمعنى، وإنّما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته ، واتساع المعنى))[٢٤]،وسبب ارتفاع مستوى (الكفاءة الإعلاميّة) لهذه النصّوص التي يتسع فيها المعنى ، هو كثرة البدائل المحتملة لظاهر النصّ، وهذا ما أشار إليه السجلماسي* عندما ذكر الاتساع ورأى أنَّه ((تخصيص عموم الاسم على إمكان الاحتمالات الكثيرة في اللفظ الواحد ، بحيث يذهب وهم كلّ سامع (سامع) إلى احتمال احتمال من تلك الاحتمالات))[٢٥].

فالنصّوص التي يتسع فيها المعنى هي نصّوص عالية (الكفاءة الإعلاميّة) كالتي يكون التعريض فيها ابلغ من التصريح، وبذلك تكتسب جماليتها ((لاتساع الظّن في التعريض وشدة تعلّق النفس به، والبحث عن معرفته، وطلب حقيقته))[٢٦]، ولو كان النصّ تصريحاً ((أحاطت به النفس علما وقبلته يقينا في أوّل وهلة، فكان كلّ يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض))[٢٧]، وبذلك

يفقد (كفاءته الإعلاميّة) ، وعلى خلاف ذلك النصّ المحتَمل فله مزيَّة على نظيره المنكشف، فهو معدود في باب البلاغة أكثر ((لأنّ نفس السامع تتسع في الظن والحساب، وكلّ معلوم فهو هيّن ؛ لكونه محصوراً))[٢٨]، وممّا يقع في هذا حذف جواب الشرط أحياناً ؛ إذ إنّ ((النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ورد ظاهرا في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه))[٢٩]، فيكون للعنصر احتمال واحد، وبذلك تنخفض إعلاميته ((فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلّة))[٣٠]، والمتلقي في حالٍ كهذه يسعى لتقدير المحذوف ، فيذهب ((مع الحذف كلّ مذهب،ولا يعول على نفس ما كان يرد في اللفظ فقط))[٣١]. وهذا الكلام من ابن سنان(ت ٤٦٦هـ) إشارة لمعيار الإعلاميّة مع الاختلاف في التعبير والمصطلح.

وترتفع (الكفاءة الإعلاميّة) للنصّوص أيضا في الإيجاز المحمود ، وهو: ((إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ))[٣٢]، وبهذا الاعتبار قد تحتمل العبارة أكثر من وجه للمعنى ((حتّى يختلف الناس في فهمه فيسبق إلى قوم دون قوم بحسب أقساطهم من الذهن وصحة التصور))[٣٣]. إنّ سبق الفهم إلى قوم من دون قوم يرجع إلى المعرفة المسبقة للمتلقي بالعالم ((فإذا كان النصّ يؤكد العلاقات التي سبق العلم بأنها محددة ، فإننا عندئذ أمام (كفاءة إعلاميّة منخفضة) ، وهكذا ترتفع درجات (الكفاءة الإعلاميّة) للنصّ كلّما نقص الطابع النموذجي))[٣٤]. وقد أشار إلى هذه الحقيقة الشيخ عبد القاهر الجرجاني عندما فرق بين النصّ المنكشف والنصّ المختفي وجعل المزيّة للثاني على الأوّل. فقال:((واعلم أنّه إذا كان بَيِّناً في الشيء أنّه لا يحتمل إلا الوجه

الذي هو عليه حتّى لا يُشْكل ، وحتّى لا يحتاج في العلم بأنَّ ذلك حقُّه وأنَّه الصّواب ، إلى فكر وروية فلا مزية. وإنّما تكون المزية ، ويجب الفضـــل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر))(٣٥).

ولا يعني هذا أن يوغل النصّ في الغموض ، فنحن عندئذ أمام نصّ منعدم الإعلاميّة؛ لذلك ينبغي للكلام خلوّه من التعقيد اللفظي والمعنوي ، الذي يفضي إلى انقطاع الاتصال بين المرسل والمتلقي ، فالمقصود من الكلام هو التواصل ، وهذا يكون بأن يفهم المتلقي ما أراده المرسل ، بأن يحمل النصّ معلومات يمكن له أن يتقبلها بأنها نصّ مسبوك محبوك مع درجة من الإغضاء، وإلا فقد النصّ سمته النصّيّة وأصبح خارج دائرة الاهتمام من المتلقي، وهذا ما نبَّه عليه ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) حين تحدث عن التعاظل في الكلام ، وعدّه ذهاباً للمقصود من الكلام ، الذي هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى ، فطلب من المؤلف أن يترك نفسه تجري وطبعها في الاسترسال بقوله:((فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار إليه**، إذ المقصود من الكلام إنّما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى ، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به. ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والروميّة وغيرهما))(٣٦).

الإعلاميّة في"معنى المعنى":

يحدّد المنظور الوظيفي للّغة خصائص بنية النصّ تبعاً لوظيفته؛ لذلك ينبغي التفريق بين الكلام العادي والكلام الأدبي ، لأنَّ هدف الأوّل الإفهام ، ويكون هدف الثاني علاوة على ذلك المتعة والجمال ، فالأديب ليس معنياً بتقديم الخبر أو المعلومة ، فهذه ليست وظيفة الأدب، ومن هنا فالمعنى الذي

تحمله الجملة عند الأديب يختلف تمام الاختلاف عن الجملة نفسها عند غيره،فهناك فرق بين: "حلَّ الظلام في المدينة" وبين "الليل يُطبق مرة أخرى ، فتشربه المدينة"***، فهذا الانحراف في اللغة يمثل صورة ميسرة لفكرة الأدب ، وعلى ذلك فالأديب لا يقصد المعنى الأوّل الناتج من الجملة ، لكنه يقصد معنى آخر هو المعنى الأدبي ، وهذا المعنى الثاني هو ما يعرف بمعنى المعنى.

وقد أولى الشيخ عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى أهميّة كبيرة في إشاراته النصّيّة وتحليلاته الأدبية ؛ ولذلك عني بالحديث عنه وبتوضيحه فقال:((وإذ قد عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول:"المعنى" ، و"معنى المعنى" ، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، و"بمعنى المعنى" ، أن تعقل من اللفظ معنى، ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر))[٣٧]، وهنا يجب البحث عن الدّلالات غير المباشرة باعتبارها معاني ثواني حيث يقودك المعنى الظاهر إلى معنى آخر، وذلك بالاعتماد على قرائن وعوامل خارج النصّ ، فالكلام وكما يقول الجرجاني على ضربين:((ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا قصدت أن تُخبر عن"زيد"مثلا بالخروج على الحقيقة ، فقلت:"خرج زيد" ، وبالانطلاق عن "عمرو" فقلت "عمرو منطلق" وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،ولكن يَدُلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض))[٣٨].

وهنا يجب على المتلقّي أن لا يقف عند المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، بل الانتقال من هذا المستوى والمتسم بالمباشرة إلى البحث عن الدّلالات غير

المباشرة ، وهذا من شانه أن يجعل المتلقّي طرفاً مساهماً في بناء النصّ من حيث تأويله وبيان دلالته.

فنحن إذن أمام نوعين من النصّ الأوّل:مباشر،وتكون إعلاميته منخفضة ؛ لأنّه لا يُخفي وراء ظاهره احتمال آخر للمعنى ، والثاني:غير مباشر يُخفي وراء ظاهره احتمالات أخرى للمعنى،فتكون إعلاميته مرتفعة.

نصّ مباشر ←——— إعلاميّة منخفضة

نصّ غير مباشر ←——— إعلاميّة مرتفعة

والنصّ غير المباشر هو النصّ الذي يثير القارىء ، ويستنفر همته ، حتّى يبذل فيه جهده وفكره في سبيل فكّ شفرته بغية الوصول إلى المعنى المقصود ، وهذا يتطلب من المتلقي أن يكون مدركا لمرجعية النصّ ومنتجه ، وهذا الإدراك ينبني على معرفة سياقين اثنين: سياق عام وآخر خاص ، فالعام: هو سياق حضاري يتمثل في أعراف المجتمع الذي ينتمي إليه النصّ وتقاليده ، فدلالة العبارات المجازيّة مثل"نؤوم الضحى"وغيرها ، تتطلب - إلى جانب العلاقات اللغويّة - الإحاطة بالعلاقات الكامنة خارج اللغة ، ومصدرها بيئة الإنسان العربي، فلولا معرفة متلقي هذه العبارة على الأعراف المكونة لذلك السياق الحضاري لما أمكنه أن يدرك المعنى الثاني لها على وجهه الصحيح ، بل لن يدرك أي معنى ثان على الإطلاق، والسياق الخاص: وهو سياق الموقف الذي قيل فيه النصّ ، كأن يكون مثلا موقف مدح أو هجاء أو حرب(٣٩).

يقول عبد القاهر الجرجاني:((ألا ترى أنّك لمّا نظرت إلى قولهم:"هو كثير رماد القدر" ، وعرفت منه أنّهم أرادوا أنّه كثير القرى والضيافة ، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنّك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت:إنّه كلام قد جاء

عنهم في المدح ، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد ، فليس إلا أنّهم أرادوا أن يَدُلُّوا بكثرة الرماد على أنّه تُنْصَب له القدور الكثيرة، ويطبخ فيها للقرى والضيافة. وذلك لأنّه إذا كثُر الطبخ في القدور كثُر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثُر إحراق الحطب كثُر الرماد لا محالة))[٤٠].

إن كلام الجرجاني هذا يسبق علماء علم النصّ بصدد تخفيض درجة التعقيد في النصّوص من المتلقي إلى مرتبة أقل ، وذلك بإيجاده قرينة من داخل النصّ أو من خارجه توضح معقوليّة أو مقبوليّة عنصر ما يحمل صفة التعقيد، ويكون ذلك بثلاثة اتجاهات ، فإذا كان الرجوع إلى العناصر الواردة سابقا في النصّ لتحديد ما إذا كان العنصر المعقد يفسّره آخر سابق عليه ، كان الخفض رجعياً ، وإذا كان بالانتظار والنظر إلى الأمام بغية العثور على عناصر أخر واردة تفسر العنصر المعقد، كان الخفض تقدمياً، وإذا كان بالخروج من إطار الموقف الحاضر بتذكر الحالات المشابهة في الذاكرة، أو اللجوء إلى المعرفة بالعالم لتحديدِ سببٍ يفسر التعقيد المقصود لهذا العنصر، كان الخفض خروجيّاً[٤١].

إنَّ ما ذهب إليه دي بوجراند يشبه كلام الجرجاني المتقدم ، فالجرجاني قد أشار إلى أن معرفة المعنى في هذه الحالة لا يعرف من اللفظ ، بل بالرجوع إلى سياقات أخرى توضح المعنى المقصود من الكلام ، وتخفض درجة الغموض فيه ، فالمدح الذي يشمله السياق هنا يساعد المتلقي على استنباط المعنى المقصود، وهو الكرم ، وعليه فإنَّ السياق هنا يحقق أثره في توجيه فكر المتلقي وقراءته نحو قصد المتكلم ، زيادة على ما حصل له من معارف ومدارك متعلقة بالمحيط الثقافي والحضاري للخطاب. ولذلك يقول عز الدين إسماعيل:((إنَّ

معنى المعنى هو تعقد شبكة من العلاقات المتبادلة بين عدد من العناصر اللغويّة وغير اللغويّة،وإن تحقّقه - من ثمّ - فضلاً عن إدراكه ، يقتضي تآزر الأدوار التي تؤديها هذه العناصر من أجل أن تلتقي جميعا في ذلك الموقع المركزي منها))[٤٢].

ومن هنا يمكن تحليل "معنى المعنى" إلى عناصره المرجعيّة ، وهي الآتي[٤٣]:

١- المتكلم وما يقصده بكلامه من معنى ، والمخاطب الذي يستقبل هذا الكلام ليستخلص لنفسه منه هذا المعنى ، وبعبارة أخرى هناك مرسل يمارس فعل الكلام،وهناك مستقبل يمارس فعل الفهم.

٢- يحمل الكلام معنيّين ، الأوّل ويوجد في الصيغة المباشرة ، والثاني ما يتعلق بهذه الصيغة من جهة،ويقع خارجها من جهة أخرى.

٣- الواقع الخارجي الذي يتعلق به معنى الكلام في مستواه الأوّل ، والإطار الحضاري الذي يتعلق به معناه في مستواه الثاني.

٤- هناك سياقان ، الأوّل: السياق الدّاخلي للنصّ ، الذي تتجاور فيه العناصر الدّالة(الألفاظ) ، والثاني: السياق الخارجي للنصّ، وهو سياق الموقف الذي ورد فيه هذا الكلام.

وعلى ذلك فإنَّ لكلّ عنصر من هذه العناصر أثراً في تقرير"معنى المعنى"، حتّى إنَّ غياب أيّ واحد منها سيؤثر في العمليّة كلّها ، ومن هنا فلابد للمتكلم أن يكون قد قصد من معنى كلامه معنى آخر يقع خارجه أو وراءه ، ولابدّ للمتلقي أن يدرك أنّ معنى الكلام الموجه إليه لم يقصد به ذات الكلام ، وإنّما معنى آخر مفارق له ومتصل به في الوقت نفسه، وحتّى يتحقق هذا كلّه ، ينبغي أن يكون للكلام معنى في مستواه اللغويّ المباشر يمكن الوقوف عنده، ثمّ الانطلاق منه إلى المعنى الثاني ؛ لأنّه لا يمكن أن يتولد هذا الثاني "معنى المعنى"

إلا من كلام له معنى صحيح "بالقياس إلى اللغة والى الواقع الخارجي المادي نفسه" ، وكذلك ولكي يستطيع المتكلم والمتلقي العبور إلى المعنى الثاني يجب أن تكون بينهما أرضيّة حضاريّة مشتركة ، يعتمد عليها المتكلم في وضع هذا المعنى من جهة ، ويؤوب إليها المخاطب في تأويله من جهة أخرى ، ويتضافر مع هذا أن يكون سياق الكلام وسياق الموقف مرشحين للعبور من المعنى المباشر إلى"معنى المعنى"(٤٤).

ملخص البحث:

ظهر علم النصّ كاتجاه جديد في الدرس اللساني الحديث في ستينات القرن العشرين، وقد أخذ على عاتقه الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل النصّ، بوصفه وحدة التخاطب الكبرى بين المتكلمين، فكان من معاييره التي وضعها علماؤه الإعلامية، وهي تتعلق بالمعلومات الواردة في النصّ من حيث توقعها أو عدم توقعها، فكلما كانت المعلومات الواردة معتادة في معناها، وفي أسلوب التعبير عنها، وطريقة عرضها كانت ذات (كفاءة إعلامية منخفضة)، وأمّا إذا كانت غير معتادة، فتمثل (كفاءة إعلامية عالية). وهناك مفهوم آخر لمصطلح الإعلامية يشير إلى الجدّة في عرض المعلومات بمواقف معينة، وهذه الجدّة يحدّدها المتلقي بمعيار عدم التوقع.

وقد تجلت الإعلامية في التراث البلاغي العربي في النصوص التي تحتوي علاوة على معناها الأوّلي معاني ثانية أخرى، بين نصوص ظاهرة مباشرة وأخرى تتخفى فيها المعاني والصور من وراء حجاب، وعندها تكون النصوص المباشرة ذات (كفاءة إعلامية منخفضة)، أمّا النصوص الأخر غير المباشرة فتكون ذات (كفاءة إعلامية عالية) بحسب ما تخفيه وما تحويه من تلك المعاني والصور.

ففرقوا بين النصّ العادي والنصّ الذي يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق والأولوية. وعلى هذا جرى التقسيم في التشبيه وأقسامه، فهو على ضربين:أحدهما: بيّن لا يحتاج إلى تأويل. والأخر يكون محصلاً بضرب من التأويل، وكذلك الأمر في (المعنى)، ويُعنى به المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة، و(معنى المعنى)، وهو أن يعقل من اللفظ معنى ثم يفضي ذلك المعنى إلى معنى آخر، وهنا يجب على المتلقي أن لا يقف عند المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، بل الانتقال من هذا المستوى والمتسم بالمباشرة إلى البحث عن الدلالات غير المباشرة، فنكون أمام نوعين من النصّ الأول مباشر وتكون (إعلاميته منخفضة)، والثاني غير مباشر وتكون (إعلاميته مرتفعة).

وهكذا جرى تقويم البلاغيين والنقاد العرب إلى النصوص، فكلما كان النصّ مما يخفي معاني أخرى وراء معناه الظاهر كانت (درجته الإعلامية عالية)، وكان من النوع الجيد الممدوح، أما النصّ الآخر (المنخفض الإعلامية)، فهو النصّ الذي كان لفظه سهلاً ومعناه مكشوفاً، وهو من جملة الرديء المردود.

Abstract

The textualism had appeared at the closure of the sixtieths of the twentieth century as a new linguistic method, it undertakes moving from analyzing the statement to analyzing the text as the greater speech unit among speakers, one of its standards that linguists had put is the informativity, it relating the information of the text according to it is been expected or unexpected, if they are usual in meaning and style they will be of (a low informative efficiency), rather if they are unusual they will be of (a high informative efficiency). There is another concept for

informativity referring to the modernity of exhibiting the information in certain circumstances.

Informativity, of the Arab rhetoric heritage, appeared clearly in the texts that have more than one meaning directly or indirectly where the images and meanings been within other meanings, so the direct texts are of (a low informative efficiency), and the indirect texts are of (a high informative efficiency) according to their hidden meanings and images.

There was a difference between the ordinary text and the unordinary text which might be specialized and pioneer. Consequently, the division of similarity is conducted; a clear one needs no interpretation, and the other must be found by a kind of interpretation, the same is done with the meaning ; the surface meaning that is understood by the term itself , and (the meaning of meaning) where the term led to another term than the direct one, hence the first would be of (a low informative efficiency),and the second of (a high informative efficiency).

According to that the Arab rhetoricians and critics had evaluated the texts, that of deep meaning goes beyond its surface one is of (a high informative efficiency), the other is of (a low informative efficiency), the first is the desired and praised and the second is the opposite.

هوامش البحث :

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينة من، و ديتر فيهفيجر ، ص٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، ص١٠.

(٣) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص١٠٣- ١٠٥.

(٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ ، د.الهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ص٣٢-٣٣.

(٥) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص١٠٥.

(٦) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص٦٦.

(٧) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينة من، و ديتر فيهفيجر ، ص١١٧.

(٨) ينظر: المصدر السابق ، ص١١٨.
(٩) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص٦٦-٦٧.
(١٠) ينظر: المصدر السابق ، ص٦٧.
(١١) ينظر: المصدر السابق ، ص٦٧.
(١٢) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص٢٥١.
(١٣) ينظر: نظرية علم النصّ ، ص٦٨.
(١٤) أسرار البلاغة ، ص٣٤٠.
(١٥) المصدر السابق ، ص٩٠.
(١٦) المصدر السابق ، ص٩٢.
(١٧) المصدر السابق ، ص٩٣.
(١٨) كتاب الصناعتين ، ص٦١.
(١٩) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص٢٥١.
(٢٠) أسرار البلاغة ، ص١٤١.
(٢١) ينظر: معالجة المعنى في التراث الفكري العربي (بحث) ، ص١١٧.
(٢٢) البيان والتبيين ، ١/٨٩-٩٠.
(٢٣) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص٢٤٩.
(٢٤) العمدة في محاسن الشعر ، ٢/٩٣.
(٢٥) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، ص٤٢٩.
(٢٦) العمدة في محاسن الشعر ، ٢/١٧٣.
(٢٧) المصدر السابق ، ٢/١٧٣.
(٢٨) المصدر السابق ، ١/٢٥١.
(٢٩) سر الفصاحة ، ص٢١٣.
(٣٠) المصدر السابق ، ص٢١٣.
(٣١) المصدر السابق ، ص٢١٣.
(٣٢) المصدر السابق ، ص٢١٣.
* عاش في المغرب في أواخر القرن الهجري السابع ومفتتح الثامن.

(٣٣) السابق نفسه ، ص٢١٣-٢١٤.
(٣٤) نظرية علم النصّ ، ص٦٨.
(٣٥) دلائل الإعجاز ، ص٢٨٦.
** يقصد المعاظلة،وهي((مأخوذة من قولهم"تعاظلت الجرادتان"إذا ركبت إحداهما الأخرى،فسمي الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه المعاظلة مأخوذا من ذلك)) المثل السائر، ٤٣٣/١.
(٣٦) المثل السائر ،٢٥١/٢.
*** من قصيدة المومس العمياء لبدر شاكر السياب، أنشودة المطر، ص١٩٧.
(٣٧) دلائل الإعجاز ، ص٢٦٣.
(٣٨) السابق نفسه ، ص٢٦٢.
(٣٩) ينظر التلقي والتواصل الأدبي،قراءة في نموذج تراثي (بحث) ، ص١٩٤-١٩٥.
(٤٠) دلائل الإعجاز ، ص٤٣١.
(٤١) ينظر: النصّ والخطاب والإجراء ، ص٢٥٥-٢٥٦.
(٤٢) قراءة في"معنى المعنى"عند عبد القاهر الجرجاني (بحث)، ص٤٠.
(٤٣) ينظر: المصدر السابق، ص٤٠-٤١.
(٤٤) ينظر: المصدر السابق، ص٤١.

قائمة المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر، (ط١)، دار المدني بجدة ، ١٩٩١م.
- أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب ، (ط٣) ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م.
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق:عبد السلام هارون، (ط٧) ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٩٨م.
- التلقي والتواصل الأدبي،قراءة في نموذج تراثي، د.احمد المنادي، مجلة عالم الفكر، الكويت ، العدد/١ ، المجلد/٣٤ ، ٢٠٠٥م.
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه ، محمود محمد شاكر، (ط٣) ،

دار المدني بجدة ، ومطبعة المدني بمصر ، ١٩٩٢م.
- سرّ الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، قدم له: إبراهيم شمس الدين ، (ط١) ، كتاب – ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، (ط٥) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م.
- قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، عز الدين إسماعيل، مجلة فصول، مصر ، المجلد/٧ ، العددان/٣-٤ ، ١٩٨٧م.
- كتاب الصناعتين ، تصنيف أبي الهلال العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط١) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق: د.أحمد الحوفي ، ود.بدوي طبانة ، (ط٢) ، منشورات دار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٣م.
- مدخل إلى علم اللغة النصّي ، فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر، ترجمة: د.فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ، ١٩٩٦م.
- مدخل إلى علم لغة النصّ ، د.الهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ، (ط٢) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م.
- مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، (ط١)، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٨م.
- معالجة المعنى في التراث الفكري العربي ، خالد عبد الرؤوف الجبر ، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية ، الكويت ، العدد/٩٠ ، ٢٠٠٥م.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ،لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق:علال الغازي ، (ط١) ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ،١٩٨٠م.
- النصّ والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان، (ط٢)، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٧.
- نظرية علم النصّ ، د.حسام أحمد فرج ، (ط١) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.